المجمع 8 (2014/1436)، 37-76

الازدواجية اللغوية في اللغة العربية

عباس المصري وعماد أبو حسن*

تلخيص:

يناقش هذا المقال البحثي مشكلة الازدواجية اللغوية في العربية المتمثلة بغلبة العاميات المتعددة على الفصحى في مجال الخطاب الشفهي، مبينًا حدَّ الازدواجية وتاريخيتها ومظاهرها اللغوية من جهة، ووجوه المشكلة أو المشكل فيها من جهة أخرى، ثمَّ يطرح جملة من الحلول الواقعية والممكنة، خالصًا إلى القول بتغليب الفصحى حلًا ممكنًا وخيارًا استراتيجيًا، دون أن يغفل تنامي هذا النمط اللغوي المتمثل بما راح يُعرف باللغة الوسطى، التي تمثل، إلى حدٍّ كبير، اللغة المعاصرة خير تمثيل، وتدفع باتجاهها معظم الوسائل الإعلامية الحديثة...

ويرى الباحث أنَّ ثمة حلولًا واقعية وممكنة، يمكن . إن أُحسن توظيفها . أن تقلل من مخاطر العامية، أو تحدّ من طغيانها، ويبدو بعضها على الأقل، متمثلًا بالدعوة إلى لغة وسطى تجد في اللغة المعاصرة نموذجًا قابلًا للتطوير عبر وسائل الإعلام المختلفة، التي تشكِّل أدوات صالحة لحمل العربية الوسطى ونشرها وتعميمها... الأمر الذي يجعل اللغة الإعلامية مجالًا خصبًا وواسعًا لتطوير اللغة المعاصرة ومقاربتها اللغة الفصحى والتماهي معها بصورة عصرية وديناميكية حية وفاعلة.

الازدواجية اللغوية في العربية

(1) مقدمة:

ترجع مشكلة الازدواجية اللغوية في البلدان العربية إلى المشكلة اللغوية نفسها وهي مشكلة تشكل مخاطر كثيرة على العربية الفصحى؛ ذلك أن العرب اليوم لا يتكلمون العربية الفصحى، فالعامية هي الدارجة على ألسنتهم، والمستخدمة في جلّ محادثاتهم وحواراتهم، وهي المتداولة فيما بينهم وفي نواديهم ومحافلهم، والعامية نفسها ليست واحدة، وإنما هي عاميات متعددة، ففي كل قطر أو بلد ثمة عامية، أو ربما عاميات متعددة أيضًا، حتى ليصعب على الشامي أن يفهم اليمني، وقد يتعذر على العراقي فهم التونسي أو المغربي، بل إن أبناء القطر الواحد قد يجدون صعوبة في فهم بعضهم بعضًا حيث يكاد يصعب على العربي في شمال العراق . كما يقول السامرائي[1]. فهم قروي من الأهواز في جنوب العراق.

---

* محاضران في الجامعة العربية الإمريكية - جنين - قسم اللغة العربية والإعلام.

[1] السامرائي، إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، بيروت، ط، 1983م، ص51.

لهذا فإنه لا بدّ من الاهتمام بأمر اللغة وأمنها، وهو اهتمام بدا قديمًا قدم الإنسان نفسه، ذلك أن اللغة وجدت بوجود الانسان، وولدت بولادته، به عُرفت وبها تعرّف الأنسان وتميز عن سائر المخلوقات، فمنذ أن علّم الله آدم الأسماء كلها، أخذت اللغة تنمو وتتوالد وتزداد، ويموت بعضها ويندثر، ويستجدّ بعضها الآخر ويزدهر، حتى بلغت في عصرنا الحاضر قرابة ثلاثة الآف لغة[1].

وقد دفعت كثرتها هذه إلى الاهتمام بدراستها، لا بصفتها لغة قوم معينين فحسب، كما كان يغلب على الدرس اللغوي القديم، وإنما بصفتها لغة إنسانية عامة،أو لغة عالمية أيضًا، ما أتاح لها مجالًا واسعًا للنظر فيها لذاتها، كما جعل المجال واسعًا كذلك للنظر فيها على أساس أنها وسيلة من الوسائل المهمة التي يتوصل بها إلى معارف أخرى كثيرة، فتولد عنها ما يعرف بالتطبيق اللغوي الذي تفرع إلى علوم عديدة مرتبطة باللغة من نحو علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الإعلامي، وعلم اللغة السياسي، وهكذا.

وتضيف قضية الصراع اللغوي، سواء ما كان داخليًا كالازدواجية اللغوية، أو خارجيًا كالثنائية اللغوية، بُعدًا جديدًا يصنف ضمن علم اللغة الاجتماعي الذي يشمل فضلًا على ما تقدم دراسة الأقليات اللغوية، ومظاهر الانحراف اللغوي والمقاربات اللغوية والتخطيط، ونحوها.

وإذا ما تبينّ أن العربية ضمن أكثر اللغات السامية متحدثين، وإحدى أكثر لغات العالم انتشارًا، فإن مسألة الازدواجية في نطاق استخدامها تصبح أمرًا بالغ الخطورة، وعلى قدر عالٍ وكبير من الأهمية؛ ذلك أن العاميات أو التفرعات اللهجية كثيرة ومتباينة، والتواصل عبرها أو من خلالها، يكاد يكون بالغ الصعوبة، وهو أمر يلقي بظلاله التفكيكية على نسيج المجتمع الواحد، والأمة الواحدة، وقد يفضي إلى تباين ثقافي وتفاضل عرقي، قد يوديان بوحدة نسيج الأمة وتآلفها وتعارفها، وفي ذلك ضياع الهوية والثقافة والدين... إنها المشكلة المعضلة التي لا يبدو أن الخلاص منها أو من آثارها المدمرة، ممكن بغير العربية الأم: الفصحى أو الوسطى، فالتحول إلى العربية الفصحى هو الحل المثالي والأنموذج المعياري

[1] The Czambride Encyclopedia of Language، Cambride: University Press, 1987 , p.284.

الذي يتعين توخيه والالتزام به،لكنّ مثل هذا التحول قد يكون بالغ الصعوبة أيضًا، أو متعذرًا، وفي هذه الحالة يلزم المقاربة ما أمكن، والتحول إلى الوسطى مع ضرورة التنبيه على ضرورة استخدام أساليب حديثة وواقعية وعملية، تتماشى والمعطيات الحضارية الحديثة، فتستمد من الواقع فكرتها ورؤيتها ووسيلتها.

ومن وحي هذه المقاربة، تنبثق هذه الدراسة، التي تبدو متسلحة بنظرة جديدة ترمي من ورائها إلى إثارة جدل حادّ وجادّ حول هذه الظاهرة المشكلة، قد يفضي . بالضرورة-إلى تساؤلات جمة وجادة، تفضي بدورها، إذا أُحسن توظيفها، إلى رؤية، أو تصور قد يقترب من حل ممكن، يكون بالضرورة مقاربًا للفصحى من جهة، ومسايرًا للواقع من جهة أخرى.

وعليه، فإن هذه الدراسة قدّمت رؤيتها لمصطلح الازدواجية وما يميزه عن مصطلح الثنائية الذي بدا هو الأخر متداخلًا معه ومشتبكًا به، وإن كان كلاهما يمثل وجهين متبادلين لمشكلة الصراع اللغوي الذي بدا – بحسب هذه الدراسة – ذا بعدين: أحدهما داخلي، ويمثله صراع الفصحى مع العاميات المختلفة، والثاني خارجي ويمثله صراع الفصحى مع اللغات الأجنبية الوافدة، وقد أفضى الأول إلى ما راح يعرف بالازدواجية اللغوية، موضوع هذا البحث، فيما أفضى الثاني إلى ما يُعرف بالثنائية اللغوية.

وهو صراع لم يكن يومًا جديدًا ولا طارئًا، وإنما يضرب بجذوره في أعماق الماضي اللغوي للفصحى نفسها، لكن شأنه لم يكن يومًا خطيرًا كما يبدو هذه الأيام، حين راح يتحول إلى مشكلة حقيقية توشك أن تعصف بالمشترك الحضاري والعقدي للأمة جراء عصفها بلسان الأمة وتلاعبها به، وهو ما بدا واضحاً في مآل لسان الأمة هذه الأيام، فقد طغت عليه العاميات واللكنات الوافدة والتي توشك أن يكون للهيبها في عصر العولمة، ضرام مؤذٍ وفظيع، فالعربية كما حدّث النبي[1] صلى الله عليه وسلم، ليست من أب ولا أم، وإنما هي

[1] نص الحديث: "ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي من اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي". رواه الحافظ ابن عساكر، وذكره ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم" ص 80، والسيد الإمام محمد رشيد رضا في "الوحي المحمدي"، ص 230، 231، الفهري، عبد القادر الفاسي، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 150.

من اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي، وبحسب مفهوم المخالفة، فإن من لم يفعل،فقد تنكر لعربيته، وآثر عليها هويات وثقافات أخرى، وفي ذلك تكمن كلّ الأفكار والأخطار التي تلخص المشكلة كلها.

(2) في حدّ الازدواجية:

تباينت الآراء في بيان حد مصطلح الازدواجية ومفهومه، وبدا في دراسات معظم اللغويين مختلطًا بمصطلح "الثنائية اللغوية " ومتداخلا معه فأطلق مصطلح الازدواجية على الثنائية والثنائية على الازدواجية[1]، ونشأ من هذا الاختلاط والتداخل خلط بيِّنٌ في المفهومين، واختلاف واضح بشأن مكونات كل منهما.

---

[1] في هذا الصدد على سبيل المثال:

* الفهري، المقارنة والتخطيط، (مرجع سابق)، ص 151 -153.

* الموسى، نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 2007م، ص 137.

* الموسى، نهاد، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 2003م، ص 125.

* الموسى، نهاد، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر، عمان- الأردن، ط1، 1987م، ص 29، 64.

* الموسى، نهاد، اللغة العربية وأبناؤها، أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية، مكتبة وسام، عمان- الأردن، ط2، 1990م، ص 139.

* العناتي، وليد أحمد، وعيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1،2007م، ص 101 -103.

* جورج يول، معرفة اللغة، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2000م، ص 235.

* داود، محمد محمد، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص 253.

* استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية، في الوظائف والمصطلح والازدواجية، مكتبة جامعة النجاح الوطنية، 1995م، ص 115.

وتحرير القول فيهما أن ثمة تباينًا في استخدام اللغة، منشؤه لغة، أو لغات وافدة، أحدثت صراعًا بين اللغة الأم وهذه اللغات الوافدة من جهة، ومن جهة أخرى، فثمة تفرعات لهجية للغة الأم، أحدثت صراعًا بين مستويات اللغة نفسها، نشأ عنها ما يعرف بصراع الفصحى والعامية، فأيهما ثنائية لغوية؟ وأيهما ازدواجية؟

هنا أجدني أميل لأسباب كثيرة، إلى الوجه الثاني، حيث تظهر الازدواجية، من وجهة نظر هذا البحث على الأقل، شكلًا من أشكال الصراع اللغوي الداخلي، أو التقابل اللغوي بين الفصحى والعامية، فهو صراع داخلي، تبرز فيه العاميات بوصفها تفرعات لهجيه للفصحى، مشكلًا أساسيا تعاني منه الفصحى عناءً كبيرًا، حيث "تمثل الفصحى والعامية في سياق اللغة العربية مستويين بينهما فرق أساسي حاسم، يتمثل في أن الفصحى نظام لغوي معرب، أما العامية، فقد سقط منها الإعراب بصورة شبه كلية"[1].

وازدواجية الفصحى والعامية، ليست خاصة في العربية فقط، بل هي قدر كل اللغات، ومن طبيعتها أيضاً، فمن هذه الطبيعة اللغوية تنشأ الازدواجية، ليصبح -مع الزمن -واقعًا ناجزًا، وسمة لازمة من سمات اللغة، تعكس -من ثمّ -اختلافًا يشكل -في الغالب -مبتدأ اللغة ومنتهاها.

ولكن العربية تتميز بكونها من أكثر اللغات -إن لم تكن أكثرها على الإطلاق -التي سيطرت عليها مثل هذه الازدواجية، وهو أمر دفع – على الدوام – باتجاه النظر فيها وفي لهجاتها المتفرعة عنها، ودراستها دراسة تعتمد الزمان والمكان والجنس، كما تعتمد الصيغة والبنية والصوت، وهو ما كان له الأثر البالغ في تطوير الدرس اللغوي وتعميقه وغنائه.

---

* الخولي، محمد علي، الحياة مع لغتين "الثنائية اللغوية" مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1 1408هـ / 1988م، ص 20.

* الغلالي، إبراهيم صالح، ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1 ،1416هـ/1997م، ص 125، 129، 82.

* يعقوب، أميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م، ص 146.

[1] الموسى، نهاد، الثنائيات، (مرجع سابق)، ص 125.

وإذا كانت الازدواجية تعني وجود مستويين للغة الواحدة؛ أحدهما مستوى اللغة الفصيحة الذي يُستخدم في المناسبات الرسمية والكتابة الأدبية والتعليم، والآخر مستوى اللغة العامية، أو اللهجات الدارجة، الذي يستعمل في الحياة اليومية، أقول: إذا كان هذ هو حدِّ الازدواجية وحالها، فإنها بهذا المعنى، تشكل شرخًا في مكونات عملية التداول اللغوي اليومي، فتجعل الكتابة بصفتها مظهرًا لغويًا، طريق الفصحى وميدانها، وتجعل المشافهة والحوار والتداول الخطابي، بصفته المظهر اللغوي الآخر، طريق العامية وسبيلها.

وكلما كان البون شاسعًا بين المظهرين أو المستويين، كان الشرخ كبيرًا، وهو شرخ يصب في غير مصلحة الفصحى، ويترتب عليه تباعد عنها، قد يفضي إلى الجفوة والنسيان، وربما الانقراض، وهو ما حذّر منه المجلس العربي للطفولة والتنمية؛ في مؤتمره العالمي حول "لغة الطفل العربي في عصر العولمة "[1] المنعقد في مقر الجامعة العربية في القاهرة، في المدة من 17-2007/2/19م. والذي شارك فيه ما يزيد على (500) باحث ينتمون إلى (19) دولة عربية وغير عربية... لكنه تحذير لم يلق آذانًا مصغية ولا قلوبًا مخلصة أو واعيةً، فبدا بعد[2] سنوات من إطلاقه مجرد صرخة في وادٍ، أو نفخة في رماد، فلم يُعمل على تجنب ما يحمل من مخاطر ومخاوف، قد تكون لها عواقب جدّ وخيمة، توشك أن تتحول في عصر العولمة إلى حقائق دامغة وشاهدة على ضياع العربية وضعفها وانحسارها، وخاصة في المحافل العلمية والمؤسسات التعليمية العالية في البلدان العربية.

وبهذا المفهوم تبدو الازدواجية مقابلًا عربيًا لمصطلح (Diglossia) فيما تبدو الثنائية المقابل العربي لمصطلح (Bilingualism)، لكن هذين المصطلحين عند ترجمتهما إلى العربية يبدوان كأنهما يحملان معنى واحدًا، فمصطلح (Diglossia) يتركب من سابقة يونانية هي (Di) والتي تعني مثنى أو ثنائي، أو مضاعف، و (gloss) والتي تعني لغة، ولاحقة هي (ia) للحالة، وحاصل الترجمة: (حالة لغة مثناه أو مضاعفة)، وهذا يعني الثنائية اللغوية. ومصطلح (Bilingualism) يتركب من سابقة لاتينية هي (Bi) وتعني مثنى أو مضاعف، و

---

[1] موقع ديوان العرب على الرابط: www.diwanalarab.com

[2] الموسى، نهاد، الثنائيات، ص 125.

(lingual) وتعني لغوي، ولاحقة (ism) الدالة على السلوك المميز أو الحالة، وحاصل الترجمة: (سلوك لغوي مثنى أو مضاعف) وهذا يعني الثنائية اللغوية.[1]

وبذلك فإن المصطلحين يؤديان المعنى نفسه، لكن الواقع الاستخدامي لكلا المصطلحين، يؤكد عكس ذلك تمامًا، فيبدوان متغايرين، والخلط بينهما يرجع إلى اضطراب الغربيين في تحديد مفهوم كل من هذين المصطلحين.[2]

وقد انتقلت عدوى هذا الاضطراب والاختلاط إلى الدارسين العرب، وساعدت عليه الترجمة، إلا أننا نذهب -كما قدّمنا - مع نهاد الموسى إلى الأخذ بوجهة النظر التي ترى في المصطلح الغربي (Diglossia) مفهوم الازدواجية اللغوية،[3] والذي يعني- بحسب وليم مارسين.[4] تنافسًا بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة، أي بين الفصحى والعامية، أو- بحسب شارل فرغسون-[5] وصفًا لغويًا مستقرًا نسبيًا، يوجد فيه بالإضافة إلى اللهجات المستعملة في المحادثة العادية، نمط فوقي عالي التشفير، يستعمل في معظم الأغراض المكتوبة والأحاديث الرسمية.

ويعرّفه (أندريدمارتينه) بأنه موقف لغوي اجتماعي، تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلًا لغويًا مكتسبًا ومستخدمًا في الحياة اليومية،

---

[1] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية، اللغوية والثنائية اللغوية، "المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية"، المجلد الثالث، العدد الأول، ذو الحجة 1442هـ / آذار 2002م، ص 55.

[2] السابق، ص 55 – 57.

[3] الموسى، نهاد، الازدواجية في العربية، ما كان وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، "ندوة الازدواجية في اللغة العربية "، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1988م، ص84.

[4] الزغول، محمد راجي، ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، "مجلة مجمع اللغة العربية الأردني" السنة الثالثة، العدد المزدوج 9، 10 آب كانون أول، 1980م، ص 120، 121.

[5] السابق، ص 121، والقعود، عبد الرحمن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مطابع التقنية للأوسفت، الرياض، ط1، 1997م، ص 104.

وتكون الثانية لسانًا يفرض استخدامه في بعض الظروف، الممسكون بزمام السلطة.[1]

وعليه تبدو الازدواجية اللغوية تنوعًا لغويًا أو لسانيًا ضمن اللغة الواحدة حيث تبرز الفصحى والعامية، أو العاميات المتعددة، فتخصص الفصحى للاستخدام الرسمي، فيما تخصص العامية للاستخدام العادي واليومي، وهي حالة مستقرة نسبيًا، لكنها قد تخلق صراعًا بين التنوعين أو المستويين قد يتحول تدريجيًا إلى مشكل كبير يهدد الفصحى: التنوع الأرقى أو المستوى الأعلى بالانقراض.

(3) نشأة الازدواجية في العربية:

في هذا السياق يمكن الحديث عن نشأة الازدواجية من زاويتين: الأولى حيث ينظر إلى الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية، رافقت اللغة نفسها منذ النشأة الأولى لها، والثانية حيث ينظر إليها بوصفها اصطلاحًا لغويًا أو مفهومًا بدا يظهر في دراسات اللغويين العرب وغير العرب، منذ بدء هذه الدراسات، لكنه لم يتخذ شكلًا علميًا إلا من عهد قريب حين كتب "فيرجسون" مقالته الشهيرة عن الازدواجية اللغوية (Diglossia) سنة 1959م، وكان له فضل السبق في استخدامه، ثم ما لبث أن انتشر وشاع لدى علماء اللسانيات الاجتماعية.

(1-3) نشأة الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية:

هنا قولان: أحدهما يرى الازدواجية جزءًا من الظاهرة اللغوية منذ بدايات اللغة، والثاني يراها تطورًا لغويًا اقتضته ظروف خاصة اكتنهت اللغة في فترات من تاريخها.

ويُبنى على القول الأول أن مشكلة الفصحى والعامية ليست جديدة ولا طارئة، ولا أظن أن أحدًا يمكنه القول بذلك، إذ تعود جذور هذه المشكلة إلى عهد القدماء، أو الأقدمين منذ النشأة الأولى للغة، فالعصر الجاهلي لم يكن بمنأى عن مثل هذه الازدواجية وإن لم تكن بمثل ما هي عليه اليوم؛ حيث تظهر الاختلافات اللهجية التي كانت قائمة حينذاك وسائدة، مدى هذا الازدواج وإشكاليته، فالعرب لم يكونوا ينطقون لهجة واحدة، وإنما لهجات عديدة طالما كان الاختلاف بينها ظاهرًا وشديدًا حتى عهد قريب من تنزيل القرآن

---

[1] مارتينيه، أندريه، الثنائية الألسنة والأزدواجية الألسنية، دعوة إلى رؤية دينامية، للوقائع، ترجمة نادر سراج، "مجلة العرب والفكر العالمي "، العدد 11، 1990م، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص 24.

الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، فسره ابن عباس وآخرون بأنه لسان قريش الذي تشّكل من جماع لغى العرب وجيدها[1].

وقد غدا بهذا التشكل والاختيار، أفصحها وأعذبها وأعلاها، مسجلا انتصار الفصحى بصفتها المستوى الأعلى للغة، وظهورها على سائر اللهجات الأخرى التي تشكل المستوى الأدنى لها، يقول ابن هشام:" كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن هاهنا كثرت الروايات في بعض الأبيات ".[2]

ومن جهة النظر هذه تبدو الفصحى، وهي المستوى الأعلى للغة، ملازمة للعامية ومتوازنة معها، وقد تمكنت من التغلب على العاميات المتمثلة باللهجات العربية المتعددة حين شكلت خطاب الشعر قبل الإسلام، وخطاب القرآن بعد الإسلام، لكنها عادت مرة أخرى، فتراجعت أمام زحف العاميات ومدها جراء انحراف اللسان العربي وما طرأ عليه من تغير أو أصابه من تطور بفعل الاختلاط والاختلاف والانفتاح، وهو ما يسلم إلى وجهة النظر الأخرى التي ترى الفصحى بتشظيها وانحسارها سببًا وجيهًا لتشكل لهجات راحت تنأى تدريجيًا عنها لتتحول مع الزمن إلى ندّ يهدد الفصحى نفسها أو يبعثرها، محدثًا هذه الازدواجية اللغوية التي يراها ابن خلدون – وقد شاعت في زمنه . تحولًا عن الفصحى لغة التنزيل وفسادًا لما جُبل عليه من صفة راسخة أو ملكة أو طبع بسبب مخالطتهم الأعاجم[3]، إذ البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجم،ومن خالط العجم أكثر كانت لغته من ذلك اللسان الأصلي أبعد...[4]

---

[1] أبو عبيد، القاسم بن سلام المتوفي سنة 224 هـ، ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، مطبوع بهامش "تفسير الجلالين" مطبعة عيسى الحلبي، ص 124.

[2] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين المتوفي سنة 911 هـ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 3، 1/ 261.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المتوفي سنة 808 هـ، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 1978م، ص 554 -560.

[4] السابق، ص 558.

وهو ما خافه ابن منظور وهاله، فجعله سببًا لوضع معجمه الكبير (لسان العرب)، يقول في مقدمته: "وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يُعد لحنًا مردودًا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون".[1]

فالاختلاط بالأعاجم هو أظهر الأسباب لتفسير ظهور هذه الازدواجية وفشوها ويكشف سرًا من أسرار نشأتها وتطورها، وهو ما يتفق معه كثير من الباحثين اللغويين المحدثين؛ الغربيين منهم على وجه الخصوص، ففي دراسة مترجمة عن الوضع اللغوي في الجزيرة العربية بعنوان "دراسات في تاريخ اللغة" ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، والتي صدرت عن دار الفيصل الثقافية التابعة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية[2]، يتفق معظم الباحثين، بدءاً بـ "فرجسون" عام 1959م، في مقالته الشهيرة: "اللغة العربية العامية المشتركة" وحتى "جاشوا بلاو " في دراسته: "نشأة الازدواجية العربية" عام 1977م. "وزويتلر" في كتابه "التقليد الشفهي للشعر العربي القديم" عام 1978م. وكذلك فريمان، وفريستيغ، ورابين وتورنتي، وغيرهم... جميعهم يتفقون على تحديد سبب الازدواجية وعوامل نشأتها، ولا يرونها شيئًا مغايرًا لما حدده من قبل ابن خلدون وابن منظور.

(2-3) نشأة الازدواجية بوصفها اصطلاحًا:

يعتقد أن الألماني "كارل كرمباخر" كان أول من تحدث عن الازدواجية اللغوية عام 1902م[3]، لكن الفرنسي "وليم مارسين" هو الذي وضع بالفرنسية سنة (1930) مصطلح

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المتوفي سنة 711 هـ، لسان العرب، دار الفكر / دار صادر، بيروت، ط1، 1990م، 8/1.

[2] جريدة الشرق الأوسط، العرب الدولية، الجمعة 30 ربيع الأول 1422هـ، 22 يونيو 2001م، العدد (8242). على الرابط الالكتروني: www.aawsat.com

[3] الزغول، ازدواجية اللغة، (مرجع سابق)، ص 119.

الازدواجية (Ladiglossia)[1]، وعرفه بأنه الصراع بين لغة أدبية مكتوبة ولغة أخرى عامية شائعة.[2]

وظل هذا المصطلح محدود الانتشار حتى جاء الأمريكي "شارل فرغسون" فجعله ذائعًا ومتداولًا[3]، حين نقله إلى الإنجليزية، وعرَفه بأن الصراع بين تنوعين للسان واحد[4]، أحدهما عالي التصنيف لكنه غير شائع، والآخر دون ذلك ولكنه عام وشائع، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الازدواجية جزءًا لا يتجزأ من الدراسة اللغوية، وفرعًا مهمًا من فروع علم الاجتماع اللغوي.

ويظهر المصطلح بشكلين مختلفين من الاستخدام اللغوي للسان نفسه، يبدو الأول معقدًا ومحدود الاستخدام، فيما الأخر بسيط وشائع الاستخدام، وقد أطلق على الأول اللسان الفصيح والآخر اللسان العامي.

وعليه يمكن القول؛ إن تحديد مفهوم الازدواجية اللغوية، ينبني على محورين: أحدهما يمثل صراعًا نمطيًا بين نمطين أو تنوعين أو شكلين لغويين ينتميان إلى اللغة نفسها، والثاني يمثل وضعًا مختلفًا لهذين النمطين أو التنوعين أو الشكلين من حيث الوظيفة والمكانة؛ ولكل نمط أو تنوع أو شكل مظهر وربما مظاهر متعددة ومتنوعة.

(4) مظاهر الازدواجية اللغوية وأسبابها:

لأن الازدواجية - حسب تحديد المصطلح - صراع بين تنوعين لغويين للسان واحد، أوجد ما راح يُعرف بالفصحى والعامية، وهو ما استلزم، فيما بعد، وجود مظهرين لغويين؛ الأول هو الكتابة، أو الرسم أو الصورة، والأخر هو التلفظ أو الصوت، أو المشافهة، فقد أخذت الازدواجية، تبعًا لذلك، شكلين لتداولهما؛ الرسم والكتابة للفصحى، والتلفظ والمشافهة

[1] السابق، ص 120، والعشيري، محمد نافع، الازدواجية اللغوية في المغرب، ص 5، على مدونة الدكتور عبد الفتاح الفاتحي، ضمن الرابط الإلكتروني: http://elfatihi.elaphbloy.com

[2] الزغول، ازدواجية اللغة (مرجع سابق)، ص 121.

[3] القعود، الازدواج اللغوي (مرجع سابق)، ص 219، والزغول، ازدواجية اللغة (مرجع سابق)، ص 120.

[4] الزغول، ازدواجية اللغة (مرجع سابق)، ص 121.

للعامية. والعربية واحدة من أكثر اللغات التي تظهر فيها الازدواجية اللغوية ضمن هذين التنوعين، فتبدو في شكلين مختلفين؛ الأول هو لغة أدبية مكتوبة، أو لغة قياسية أو كلاسيكية، وتكاد تكون اللغة المكتوبة هي الوحيدة في الماضي، وهي حاليًا، لغة الأعمال الأدبية والعلمية والمقالات الإعلامية، والوثائق القانونية، لكنها لغة غير متداولة في إطار لغة الحديث، أو الخطاب اليومي، إلا في نطاق ضيق. والشكل الثاني هو لغة شفهية، وهي التي تشكل لغة المحادثات، وتستعمل في كل الأمكنة العامة تقريبًا، ولم تكن قط مكتوبة.

ويرى "فرغسون" أن الازدواج اللغوي لا يظهر أو ينشأ في مجتمع بعينه إلاّ بتوافر ثلاثة شروط[1]:

الأول: توافر مادة أدبية كبيرة بلغة ذات صلة وثيقة باللغة الأصلية (الفصحى) للمجتمع، أو مماثلة لها، تمثل جزءًا مهمًا من قيم المجتمع الأساسية.

والثاني: اقتصار الكتابة على نخبة قليلة في المجتمع.

والثالث: مرور فترة زمنية طويلة تُقدّر بقرون عديدة على توافر الشرطين السابقين.

ويمكن الادّعاء بسهولة أن هذه الشروط الثلاثة، قد توافرت مئات المرات في الماضي، ونتج عنها في كل مرة ازدواج لغوي، وعلى وفق ذلك يمكن القول بأن الازدواج اللغوي في العربية قد ظهر مرات عديدة، عبر عصورها المختلفة، وعلى امتداد مراحل تطورها، إذا لا يعقل ان العرب جميعًا على اختلاف قبائلهم ومشاربهم وتنوعاتهم السكانية واللسانية واللهجية، قد تكلموا - جميعًا - لسانًا مشتركًا واحدًا، إذ المعروف أن هذا اللسان المشترك قد بدأ يتشكل قبل مائتي سنة من البعثة النبوية على أبعد تقدير، ولم يكن، بالرغم من رقيه وعلوه وروعة بيانه، سائغًا أو ميسورًا لكل العرب، فهو خطاب الفصحاء والبلغاء منهم فقط، والشعراء على وجه الخصوص، ولم يكن هذا اللسان المشترك دافعاءً قوياءً لترك لهجاتهم المختلفة أو هجر ألسنتهم المتباينة،فما وصلنا من لهجاتهم، وهي كثيرة ومختلفة ومتنوعة، خير دليل على أنهم لم يصطنعوا هذا اللسان المشترك الذي شكل لغة الشعر

[1] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص 68. والقعود، الازدواج اللغوي، (مرجع سابق)، ص 224.

لديهم، ولغة التنزيل لاحقًا، إلاّ في المناسبات، وخاصة في موسم الحج، وعلى ألسنة شعرائهم وبلغائهم وأشرافهم.

أما داخل القبيلة، فقد كانت الغلبة للسان القبيلة الذي لم يكن اللسان العربي الفصيح على الإطلاق. وهذا يعني أن العرب قبل البعثة النبوية قد عاشوا ازدواجًا لغويًا واضحًا، كما تقدم القول، لكنه ليس بمثل هذه الحّدة ولا بمثل هذا الانحراف الذي يشهده اللسان العربي المعاصر.

فهذه الازدواجية التي نعيشها اليوم، هي ـ زمنيًا ـ تشكل نمطًا جديدًا للازدواجية اللغوية، تختلف عن سابقاتها بطغيان العامية فيها على الفصحى، وتسلطها عليها بقوة حتى غدت الأكثر تداولًا في مختلف المحافل والمناحي والمجالات، وحتى غدت الأكثر انتشارًا والأوسع تأثيرًا والأبلغ استخدامًا في معظم المعارف والعلوم، إلى الحّد الذي راحت تشكل معه خطرًا حقيقيًا على الفصحى، الأمر الذي استدعى هذا النفير لتحرير الفصحى وإنقاذها وحمايتها من التلاشي والاضمحلال.

هذه العامية الحديثة، ترجع في جذورها إلى بدايات الفتوح الإسلامية،[1] حين دخلت أمم كثيرة من غير العرب في الإسلام، أو خضعت لسلطانه، واضطرت إلى اصطناع لغته وتداولها، فتركت بفعل هذا الاصطناع والتداول أثرًا انحرافيًا واضحًا في اللسان العربي الفصيح، شمل كل مستويات اللغة ومظاهرها، بدءًا بالتشكيل الصوتي والصيغ والتراكيب وانتهاءً بمظاهر الخطاب والنص وطرائق التعبير.

لكنّ هذا الانحراف، وإنْ كان قد تسلّط بقوة على لغة الكلام والخطاب الشفوي، وتمكن من حرفها عن الفصحى وقواعدها، إلاّ أنه قد فشل فشلًا ذريعًا في تغيير لغة الكتابة أو استبدالها، بالرغم من كل المحاولات والادعاءات والدعوات التي كانت ترتفع منادية ومطالبة بتغيير قواعد الكتابة والخط، واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي.[2]

[1] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص 69.

[2] تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الأداب ومطبعتها بالجماميز، القاهرة، 1956م ص 56.

فالكتابة في أيامنا هذه لا تكاد تختلف عن مثيلتها التراثية، أو عمّا كانت عليه أيام الإسلام الأولى. كما أن كل الدعوات التي كانت تنادي باستبدال العامية أو لغة أجنبية أخرى بالفصحى[1]، قد خبت وتراجعت أيضًا. وظلت العربية الفصحى هي اللغة التي يصطنعها الأدباء والكتاب والشعراء والعلماء والطلاب والمتعلمون في شتى أجناس المعارف والعلوم، وذلك نظرًا لكونها لغة الشعر القديم؛ جاهليه وإسلاميه، ولغة التراث، وفوق ذلك كله، فهي لغة القرآن الكريم الذي يرجع الفضل إليه في حفظ العربية الفصحى من التطور السلبي أو التشظي والانقسام.

وكونها لغة الشعر القديم، ولغة القرآن الكريم، فهي تشكل بهذا الازدواج المشاعري والفكري، مهادًا فكريًا ونفسيًا ومشاعريًا لكل الناطقين بها، الأمر الذي صعّب عملية تحولها أو التحول عنها، وجعل انحرافها أو تشظيها أمرًا مستحيلًا.

لكنّ ذلك كله لم يكن مانعًا حصينًا لمزاحمة العامية، وتسلطها على لغة الكلام والخطاب اليومي، وهو أمر بدا طبيعيًا يخضع . في كثير من جوانبه . لطبيعة التطورات والتداولات والتداخلات والتشابكات التي لا تنفكّ تؤثر في عقلية المجتمع ولغته وخطابه.

ولعل سعة انتشار اللغة، يقف وراء هذا التفرع والازدواج، والعربية، وإن لم تتفرع إلى لغات عديدة كغيرها من اللغات الأخرى، لكنها تعاني من ازدواج خطير يكاد يعصف بما تبقى منها، ويبدو أن أسباب هذا الازدواج ترجع في معظمها إلى طبيعة العقل العربي

---

[1] في هذا الصدد على سبيل المثال:

* شيخو، لويس، تاريخ الأداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1926م، ص 93.

* وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 4، 1951م، ص 149.

* شرف، عبد العزيز، وسائل الإعلام ولغة الحضارة، مؤسسة مختار، القاهرة، ص 47.

* شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1980م، ص 260-285.

* الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص 126 -136، 185 – 249.

* محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص 260 -285.

والنفسية العربية من جهة، وهو أمر داخلي تكويني، يخص العرب أنفسهم بمكوناتهم الثقافية والفكرية والنفسية، والغزو بمختلف جوانبه وأنواعه وأشكاله من جهة أخرى، بكل ما للغزو من تداعيات خطيرة على اللغة والمجتمع والثقافة والفكر والاقتصاد والحدود والسياسة، وهو أمر خارجي، يُفرض عبر وسائل مختلفة ومكتوبة وعنيفة في معظم الأحيان، في عصر فقد العرب فيه مكانتهم وفاعليتهم وحضورهم.

وكون الأمة العربية منقسمة إلى دول عديدة، لكل دولة حدودها وقيودها، ولها سياساتها واقتصادها وعلاقاتها الخاصة، فإن هذا الانقسام والانفصام أدَّى إلى انفصام وحدتها الفكرية والمشاعرية واللغوية[1]، ناهيك عن الشرخ الكبير الذي قد يخلفه في هذه المجتمعات المكونة لهذه الدول والتباين الفظيع الذي يتزايد مع الزمن، فينتج حالة من التمايز العرقي والشعوبي، حيث تصبح كل دولة حسب نظامها الخاص، ذات شعب يتمايز بعاداته وتقاليده وأعرافه ونظامه، عن الشعوب الأخرى، وهو أمر يعكس نوعًا من التمايز اللغوي الذي يفضي ـ بدوره ـ إلى خلق نظام لغوي متمايز أيضًا، قد يعصف هنا أو هناك، في هذا المجتمع أو ذاك، باللغة نفسها، فتبدو العاميات دالة تمايزمشاعري وعرقي، ويظهر ـ بحسب هذا التمايز ـ الجزائري مختلفًا عن العراقي، والأردني مختلفًا عن اليمني، وهكذا.

وعلى وفقه تبدو لغة الجزائري غير لغة العراقي، ولغة الاردني غير لغة اليمني كذلك. إنه انفراط عقد النسيج العربي الواحد، الأمة الواحدة، وبناء أنسجة اجتماعية متعددة قطرية أو وطنية، تبتعد مع الزمن عن أخواتها العربيات لتصبح غيرها، ولأن اللغة وسيلة التواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية الواحدة، وبها يعبّر كل قوم عن أعراضهم[2]، والعرب ما عادوا

---

[1] وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1944م، ص 175.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي المتوفى سنة 392 هـ، الخصائص، طبعة الهلال، 1331 هـ، 21/1، وبتحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1/ 33، وبتحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م،87/1. والسيوطي، جلال الدين المتوفى سنة 91 هـ، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، تقديم وتصحيح وشرح أحمد الحمصي، ومحمد قاسم، طبعة جروس برس، ط1، 1988م، ص 24. والجرجاني، علي ابن محمد المتوفي سنة 816 هـ، التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987 م ص 244.

جماعة واحدة، بل جماعات متعددة، فإن لغات أخرى منافسة للفصحى (اللغة العربية المشتركة) ستظهر، وهذه اللغات المنافسة ليست سوى العاميات، لكنها في الحالة العربية لم ترق إلى حد الاستقلال لتكون لغة القطر الرسمية، بسبب ما أشرنا إليه سابقًا من عوامل بقاء الفصحى وسيادتها، كالشعر القديم، والقرآن الكريم، وهي عوامل لا يمكن أن تفنى أو تنهار حتى يفنى الإنسان العربي نفسه أو ينهار.

وهذا ما حاوله أعداء العرب والإسلام عبر تاريخهم الطويل، وما زالوا يحاولون: بالغزو العسكري المباشر حينًا كالاعتداءات البيزنطية والروسية والحروب الصليبية والاستعمار الحديث والصهيونية التي ما تزال تحتل فلسطين، وبالدس والمكر والإفساد في كثير من الأحيان، ولا يمكن أن ينسى صنيع الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس والمغرب العربي مثلًا، حيث أُلغيت العربية، وفرضت مكانها الفرنسية.وما زال المغاربة حتى الآن، يعانون من هذه الغربة عن لغتهم وثقافتهم، وقد طغت لديهم إلى حدّ كبير ازدواجية الفصحى والعامية من جهة، وثنائية الفرنسية والعربية من جهة أخرى، مشكلة بهذا الطغيان والزحف مشكلة حقيقة تطال عمق الثقافة والفكر وتنزع دون هوادة، جذور المشاعر والوجدان.

(5) مشكلة الازدواجية:

في هذا الجانب من البحث، يبرز سؤالان مهمان، الأول: لماذا تبدو الازدواجية مشكلة؟ والثاني: ما وجه المشكلة؟ ويشكل السؤالان، إلى جانب كونهما موضوعين مطروحين للنقاش، إشكالية كبيرة في إطار البحث عن حلول وفقًا لأسباب لم تكن مطروحة من قبل، مع الإشارة إلى وجود اختلاف كبير حولهما؛ فثمة آراء أخرى[1] لا ترى في الازدواجية اللغوية مشكلة، فهي أمر طبيعي ينتاب اللغات جميعها، وما من داع لتعداد وجوه المشكل فيها.

وهو أمر يشكِّل مع وجهة النظر الأخرى، إشكالًا كبيرًا يصل إلى حد الاعتراف بالعامية بديلًا طبيعيًا وحضاريًا للفصحى، ومعادلًا موضوعيًا لها من جهة، ورافضًا التحول إلى العامية أو منكرًا لها من جهة أُخرى.

[1] الحاج، كمال يوسف، في فلسفة اللغة، دار النهضة للنشر، بيروت، ط2، 1978م، ص 222.

وما بين هذا وذاك، تبدو المسافة كبيرة وشاسعة، فلا الفصحى تتغير أو تنتصر، ولا العامية تتبعثر وتندثر، واللسان مبلبل بين هذه وتلك، إنه أمر مفروض علينا، شئنا أم أبينا، ومن المفيد أن نقرأ الواقع اللغوي جيدًا، علنا نصل إلى حدّ التداول الآمن للغة، بعيدًا عن التكلف والتفريط؛ تكلف الفصحى التراثية الكلاسيكية، أو التفريط بها.

(1-5): لماذا تبدو الازدواجية مشكلة؟

قد يبدو الحديث عن الازدواجية بوصفها مشكلة متعددة الجوانب والوجوه، أمرًا مبالغًا فيه، وذلك نظرًا لكونها تمثل حالة لغوية طبيعية وعفوية تبعًا لتفاوت الناطقين باللغة ثقافيًا وفكريًا وإبداعيًا وتاريخيًا، لكنها تعكس – وخاصة في أيامنا هذه – تفاوتًا حادًا يشكل حالة انقلابية خطيرة، تصل حدّ التحول أو الاستبدال، وفي ذلك تكمن خطورة الازدواج الذي يكاد يعصف بالفصحى، كونه يشكل انحرافًا عنها، وانحيازًا إلى العامية، انحيازًا تتزايد وتيرته مع الزمن حتى تصبح العامية هي المتغلبة، والخيار الوحيد المتبقي. وليست المتبقي – بحسب مفهوم "لو سيركل"[1] - حيث يسود العكس تمامًا حين تتحول العامية إلى اللغة السائدة، والفصحى إلى المتبقي، لكن دون أن يكون للمتبقي (الفصحى) في الدورة المنعكسة (دورة سيادة العامية وتغلبها) القوة ذاتها التي كانت للمتبقي (العامية) في الدورة الطبيعية للغة (دورة سيادة الفصحى) حيث يعمد (المتبقي) إلى تفكيك نظام اللغة، على فرض أن اللغة نظام متكامل من الإشارات والعلامات، بحسب "دي سوسير"[2]، ويفتح المجال واسعًا للقوى المتناقضة والمتصارعة لزعزعة كيان اللغة، على فرض أن اللغة كيان مزعزع يحمل بذور العنف، بحسب المفهوم من وجهة نظر "دوليوز دغواتاري"[3]، الذي يتجلى أساسًا

---

[1] لوسركل، جان جاك، عنف اللغة، ترجمة وتقديم: محمد بدوي، مراجعة: سعد مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، أيار، 2005م، ص 89 - 103، 104 -118، 205 -215.

[2] السابق، ص 95، 112، و أيضًا: DeSaussure (Ferdinand): Course In General Linguistics, translated by: wade Bakin, London, 1964, pp: 7-15.

[3] السابق، ص 104 – 110.

بالصراع بين الفصحى والعاميات. وفي إطار هذا الصراع يؤكد "لو سيركل" أهمية العاميات وشرعيتها وتأثيرها في الفصحى.[1]

وبالنظر إلى واقع اللغة العربية، أو الواقع التداولي للعربية في العالم العربي، فإنه يمكن توصيفها على النحو التالي:[2]

1- العربية الفصحى (الكلاسيكية)، وهي عربية القرآن الكريم والشعر القديم.

2- العربية العامية (الدارجة والمحكية)، وهي تنوعات لهجية عديدة، وأنماط لسانية متباينة تباين الجغرافية العربية ذاتها.

3- العربية الوسطى (بين الفصحى والعامية – بين بين) والمتداولة في أوساط النُّخَب والمثقفين والمتعلمين، وتعرف أيضًا بـ (عربية المتعلمين المحكية).

4- العربية المعاصرة (الأقرب إلى الفصحى أو الفصحى غير المشكولة) والمتداولة في الوسط الثقافي والإعلامي وعبر وسائل الإعلام المختلفة.

وهذا الواقع اللغوي السائد على تنوع مسوغاته وتعدد دواعيه، يمنح العربية وصفًا لغويًا فريدًا، ويتيح القول برباعية لغوية أو تعددية لغوية، وليس ازدواجية فحسب.

ويمكننا أن نتخيل شخصًا مثقفًا، يتقن إلى حدّ ما، اللغة الفصحى، يتنقل بين شرائح المجتمع وفئاته المختلفة، فسنراه يصطنع الفصحى ما أمكنه ذلك حين يكتب رسائله أو يوجه خطابًا ما، أو حين يخطب الجمعة، أو يلقي كلمة في حفل ثقافي أو تأبيني، وينحرف عن هذه الفصحى إلى العامية، حين يتجول في السوق لشراء حاجياته، أو حين يكون في بيته بين أهله وزوجه وولده، ويصطنع العربية الوسطى حين يحاور المثقفين والمتعلمين. وهكذا. فالمتكلم يصطنع اللغة التي تناسب المخاطب والمقام الذي يكون فيه المخاطب، ويغيّر لغته تبعًا لتغير هذا المخاطب والمقام وعلى وفقهما. وهو أمر لا يبدو أنه يشكل خطرًا على الفصحى لو كان المخاطب أو المقام يستدعيانها، لكن المشكل أن المخاطبين - على كثرتهم - ليسوا من هذا النمط الذي يستدعي الفصحى، فما أكثر المخاطبين بالعامية! وما

---

[1] السابق، ص 113 – 119.

[2] الموسى، نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، (مرجع سابق)، ص 137 – 140.

أكثر المتكلمين - تبعًا لذلك - بها! وإزاء ذلك، فأين الفصحى؟ إنها تنحسر وتتوارى، ولا تكاد تعرف إلا في المناسبات، ودون أن يكترث أو يتنبه لها أحد. أليس ذلك مؤشرًا على تنامي قوة العاميات المختلفة على حساب الفصحى، أوَ ليست الإجابة عن مثل هذا السؤال مشكلة حقيقية؟ وإذا كان تنامي العامية على حساب الفصحى يشكل مشكلة لغوية حقيقية وعنيفة، فما وجه هذه المشكلة؟ وما تداعياتها؟

(2-5): وجوه مشكلة الإزدواج اللغوي وتداعياته:

تتعدد وجوه المشكلة وتتنوع بما تتركه من تداعيات سلبية وخطيرة وآثار سيئة ومدمرة في مختلف المجالات وعلى جميع المستويات؛ الفردية والجماعية والمجتمعية، فخطر الازدواج اللغوي لا يقتصر على اللغة وحدها، بل يتجاوزها إلى كل مناحي الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية والقومية والتراثية، وذلك نظرًا لكون اللغة تشكل المهاد النفسي والقومي والمشاعري والثقافي والفكري للناطقين بها، والفصحى تحديدًا هي لغة الدين والعلم، هي الامتداد الثقافي والفكري والحضاري، وقد شكّلت . على الدوام. رمزًا لوحدة أمتنا، وأداة لتواصلنا وتآلفنا، وإحلال العامية محلها، سيعمل على تفتيت هذه الوحدة وتمزيق هذا الرباط التآلفي والتعارفي، وسيجعل من الأمة أممًا شتى، وأقوامًا متفرقين. إن إقصاء الفصحى يشكل نذيرًا لانهيار كل منجزات الأمة وتفتيتًا لوحدتها، حيث تُبذل جهود كبيرة ومتواصلة لمنع هذا الانهيار والتفتت، ولكن النتيجة لن تكون لمصلحة الوحدة ما لم تكن لمصلحة الفصحى، ومن يتبصر في وضعنا العربي؛ السياسي واللغوي، يرى أن الجهود المبذولة في هذا السبيل على كثرتها، كانت "فشلًا ذريعًا".[1]

ومرد ذلك أن الممارسة اللغوية الصحيحة لم تعد متأتية إزاء هذا الغزو الأجنبي والاغتراب الثقافي وفقدان الهوية وضعف الإحساس بالانتماء، وهو أمر أفقد العربية ألقها وحيويتها، فصارت على ألسنة أصحابها وبأقلامهم، عاجزة عن التعبير الصحيح والكافي لتحقيق المقاصد والأغراض، فكان ذلك مدعاة للتحول عنها إلى العامية، وخاصة في مجال التعبير الشفوي، ومع هذا التحول تكرست الحدود المصطنعة التي شكلت، وما زالت

[1] :Bjorn Jernudd Lectures On Language Problem, Bhir Publications, 1990, p: 10.

تشكل، عائقًا حقيقيًا أمام أي تقدم، وسدًا منيعًا في وجه كل محاولة للارتقاء بهذه الأمة أو تطويرها. لقد تبعثرت بتبعثر لسانها إلى أقوام مختلفين، وكرّست بهذا الاختلاف والتبعثر، حالة التخلف الفكري والحضاري، وأعاقت أي تطور اقتصادي أو علمي أو تربوي أو تعليمي، إلى جانب كونها تعرقل عمل وسائل الإعلام وأجهزة الاتصال، وتحول دون قيامها بدورها الحقيقي والفعّال يقول سويتروبولص:" إن الازدواجية من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية التعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام، لعائق"[1].

وينقل نهاد الموسى عن "فالتر تاولي" قوله: "إن كل صور الازدواجية فيها إسراف، ذلك أن الازدواجية وضع لغوي غير اقتصادي ولا وظيفي"[2].

إنها رمز للانحطاط والتخلف، والصراع بين طبقات المجتمع[3]، هذا الصراع الذي يقضي على لحمة المجتمع وتماسك أفراده، ويفضي إلى تفتيته إلى فئات متصارعة، كل فئة تعمل لمصلحتها الخاصة، وتصارع غيرها حول هذه المصلحة، ما يجعل أية محاولة لإصلاح الأمة وتقدمها محكومًا عليها بالفشل، "فالأمة الواعية هي المنسجمة طبقاتها في بوتقة واحدة، وهي التي تدور طبقاتها في فلك واحد، يكون وليد ذهنية واحدة، وعقلية واحدة، وعبقرية واحدة، وروح واحدة، فإذا كان لكل طبقة لغة انعدم الانسجام... فإذا كانت الطبقة المثقفة تتكلم لغة ما، والطبقة غير المثقفة تتكلم لغة أخرى، دب التفسخ في بيت الأمة.[4]

والازدواج خطر على ثقافة الأمة، ذلك أن العلاقة بين اللغة والثقافة وثيقة ووطيدة، وتكاد تكون عضوية،[5] فاللغة من أكبر مقومات الثقافة وأعظم مرتكزاتها ومكوناتها الأساسية، ولا يتصور وجود ثقافة دون لغة، أو خارج اللغة، ومهما قيل عن العلاقة بين اللغة والثقافة، فإنها ـ أي اللغة ـ تظل مخزنًا للثقافة، والازدواج اللغوي يهدد هذا المخزون

[1] الزغول، ازدواجية اللغة (مرجع سابق)، ص 124.

[2] الموسى، نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، (مرجع سابق) ص136.

[3] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص 70.

[4] الحاج، كمال يوسف، في فلسفة اللغة، (مرجع سابق)، ص 155.

[5] موقع مقالات إسلام ويب، مقال بعنوان:" الازدواجية اللغوية والمرض الثقافي"، على الرابط الإلكتروني: http://www.islamweb.net/media/index.php

الثقافي، وخاصة حين يزداد الشرخ وتبعد الشقة بين الفصحى والعامية، وبهذا التهديد تنبتُّ العلاقة بين الجذور الثقافية للأمة والأجيال القادمة. وهذا من شانه أن يفضي إلى الانفصام الثقافي، أو الانسلاخ الكلي عن الثقافة الأصلية للأمة، فالازدواجية ـ على حدّ تعبير نهاد الموسى ـ جرثومة الانفصام والعذاب المقيم في وجدان الكاتب العربي الذي يتوزع في معالجة قضيته بين محورها المحلي وأفقها العربي، وتمثل الحيرة في الحوار القصصي والمسرحي وما وقع في نطاقها من التجاذب والمدافعة عرضًا مزمنًا من أعراض هذه الازدواجية".[1]

ومثل هذا الانفصام الثقافي يلقي بظلاله البائسة على التكوين النفسي للأفراد، وخاصة الأطفال الذين يجدون صعوبة بالغة في تعلم الفصحى بعد أن أمضوا سنوات عديدة من أعمارهم في اكتساب العامية، فتبدو الفصحى غير مألوفة لديهم وغير متاحة كذلك، إذ يعمد الطفل، عند تعلمه الفصحى، إلى مخزونه اللغوي والثقافي، والذي تشّكل عبر سنوات عديدة من المحاكاة في اكتساب العامية، فلا يجد ما يسعفه في الممارسة اللغوية الجديدة بالفصحى، فيضيق بها ذرعًا ويرغب عنها إلى غيرها من العاميات المتاحة أو اللغات الأجنبية التي قد يحرز تفوقًا ملحوظًا بها، نظرًا لضحالة العامية وضمور الفصحى أو تعثرها.

أو ليس هذا الازدواج هو الذي يشّكل عائقًا أمام تعلم العربية الفصحى؟ وهو -بالتالي - المسئول مسئولية مباشرة عن العزوف عن تعلمها؟ والأخطر من ذلك كله، أن يمارس الناشئة ازدواجًا لغويًا ضمن مستويي اللغة؛ الكتابة والتلفظ، فيكتبون بالفصحى، ويتكلمون بالعامية، الأمر الذي يخلق لديهم معاناة قاسية جراء "لغة تتصارع مع مولود لها معقد التركيب، أو مولود (غير شرعي) لا بد أن يوهنها صراعه، لأنه يحتل مواقع مهمة في المجتمع وجوانب مختلفة من حياة الفرد ".[2]

[1] الموسى، نهاد، الثنائيات، (مرجع سابق)، ص 128.

[2] المعتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، أهميتها – مصادرها وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 212، ص 168.

ومثل هذا الازدواج يخلِّف فيهم آثارًا نفسية خطيرة، ويفضي إلى ضعف تحصيلهم اللغوي والثقافي، كما يقتل الإبداع لديهم؛ إذ كيف يكون حال من يعيش حالة من التشظي والتردد بين العامية والفصحى؛ عامية لا يحسن التفكير عبرها، لخلوها من الانماط الفكرية الإبداعية، واقتصارها على تيسير الحياة اليومية الاعتيادية، والنشاط الذهني العادي، وفصحى لم يتقنها ليقوى على التفكير من خلالها، فيبدع في مجاله الذي اختاره، أو وجد نفسه من خلاله؟ وهل يتوقع الإبداع من شخص مهما كثر علمه وزادت ثقافته، ما لم يكن متقنًا للغة؟

فالازدواج سبب رئيس في تصدع النبتة الثقافية لأمتنا، وهو المسئول عن هذا التبديد القاتل لكل الجهود التربوية، إنه عدو لكل تطور فكري أو حضاري.[1]

وفوق ذلك كله، فإن الازدواج اللغوي يضيق بالفصحى، ويعمل على خنقها، ويحول دون انتشارها داخليًا وخارجيًا، إنه يوقف مدها، ويقضي على أي حوار قد يُدار بها أو من خلالها جراء عدم اكتمال القدرة على استخدامها أو التفكير من خلالها، سواء على المستوى الداخلي بين أفراد الأمة، أو على المستوى الخارجي، خارج حدود الأمة، ومن خلال الحوار مع الأخرين، فيمنع الفصحى من أي امتداد خارج حدودها، ويحول دون أن تكون عالمية ممتدة، أو أن تكون لغة العلم والتفكير والكشف والإبداع.

وإزاء هذه الأخطار الداهمة والخطب الجلل للازدواج وآثاره المدمرة، ما الذي يمكن فعله لتجنيب الفصحى والناطقين بها هذه المخاطر أو بعضها، وتجنيب الأمة كلها تداعيات انهيار الفصحى أو تقوقعها وانزوائها.

(6) الحلول المفترضة والممكنة لمشكلة الازدواج اللغوي:

لعل كثيرًا من الناس يتساءلون: كيف يمكننا الخلاص من هذا الوضع المزدوج؟ وهل مثل هذا الخلاص ممكن فيما لو أردنا الخلاص فعلًا؟ أم أن الاعتراف بالواقع اللغوي، وبما هو كائن؛ حيث يسود الازدواج اللغوي، فترى العامية جنبًا إلى جنب مع الفصحى، هو الأمر الوحيد المنطقي والمقبول والممكن، والذي يُدعى بقوة إلى التسليم بوجوده، والتكيف معه،

[1] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص 71-72.

مع الإقرار بمخاطره وأضراره؟ أم أن ثمة حلولًا أخرى، تنتهج منهج التقريب بين العامية والفصحى، تقوى على حل مثل هذا الإشكال، والتقليل من هذه المخاطر والأضرار؟ وهل الحل لغوي محض؟ أم سياسي واجتماعي وثقافي واقتصادي؟

أسئلة كثيرة تُطرح في معرض البحث عن مخرج من مأزق الازدواج الذي يشكل باستمرار أزمة لغوية ومعضلة فكرية حقيقية، فلم يعد خافيًا ولا متكورًا أن الازدواجية مشكلة حقيقية تحول دون الدخول في دائرة الحداثة؛ كونها تشتت الجهد وتشّوش التفكير وتعيق عملية التواصل الحقيقية بكل مستوياتها، الفكرية والاجتماعية والعلمية والفنية والشعورية، فهي تمثل – على حدّ تعبير "نيوستوبني"[1] وضعًا لغويًا غير وظيفي، فلا ترقى اللغة الفصحى إلى مستويات الخطاب، ولا العامية إلى مستويات الكتابة والتفكير، والمزدوج حائر ومشتت وعاجز، ولهذا فقد عمدت معظم شعوب العالم إلى "التخلص من الازدواجية عند مرحلة مبكرة من عملية التحديث".[2]

ومهما يكن من أمر الازدواجية، فأنها تظل مشكلة العصر، وهي مشكلة تتطلب حلًا أو حلولًا صعبة وحاسمة، والبحث عن هذا الحل أو هذه الحلول، ليس بالأمر السهل أو اليسير، وخاصة حين يُراد لهذا الحل أن يكون ممارسة لغوية شاملة، وليس مجرد تنظير ينتهي بانتهاء القول فيه، فما هو هذا الحل؟

قد يتسع القول في البحث عن حلول واقعية ومنطقية، لكن رجع القول فيه ينحصر في ثلاثة حلول أساسية:

الأول: التسليم بالازدواجية.

والثاني: التوحد، ويعني اعتماد الفصحى فقط، أو العامية فقط، أو لغة أخرى أجنبية.

والثالث: التقريب بين العامية والفصحى.

(1-6): التسليم بالازدواجية:

[1] Neustuphy (J.V): Language Theory in a Japanese Conext, Post-Structural Approaches Te language. pp:169. 182 والموسى، نهاد، قضية التحول إلى الفصحى، (مرجع سابق)، ص

[2] Neustuphy (J.V): Language Theory (ibd). P: 169.

يرى عبد القادر المغربي في معرض إجابته عن سؤال وجهته رياسة المعارف في الشام في العقد الثالث من القرن العشرين، إلى المجمع العربي بدمشق، تسائله عن أقرب الطرق إلى نشر الفصحى، يرى أن الازدواجية ظاهرة لغوية عامة "وأن كل لغة فصيحة من لغات البشر لها بجانبها لغة متولدة منها هي اللغة العامية أو اللغة الدارجة"[1]، فالازدواجية ليست حكرًا على العربية وحدها[2]، فهي شأن اللغات جميعًا، وتجيء ضمن السياق التطوري الطبيعي لأية لغة، بل هي إحدى أهم السمات الحضارية للشعوب[3]، والتسليم بها أمرٌ طبيعي ومنطقي؛ إذ هو تسليم بالواقع اللغوي السائد من جهة، واعتراف بطبيعة اللغات البشرية وقانون تطورها من جهة أُخرى، وأن من المستحيل في خضَمِّ التوسع الحضاري أن تظل اللغة معزولة دون أن تتأثر أو تتشظى؛ كونها تواكب حالة من التطور والتغير الذي يطال كل شيء وفقًا لسنن الطبيعة والكون، ومن الطبيعي أن يطال اللغة أيضًا.

وعليه، فلا حرج من وجود الازدواجية اللغوية، ولا غضاضة في تقبلها، مع الاعتراف بكونها مشكلة، أو دون الاعتراف بذلك.

وهو اعتراف بالتسليم يفضي إلى الاستسلام، ومن الطبيعي هنا أن يتزايد تراجع الفصحى لحساب العامية، حتى تطغى العامية في كل قطر على فصحاه، ويكون ذلك مدخلًا لاستقلالية كل قطر عن غيره، فتتجزأ الأمة وتنفصم عُرى وحدتها، وتنبّت جذورها، وفي ذلك ما فيه من مخاطر وأضرار، كما أن المشتغلين بالتخطيط اللغوي يرون أن كل صور الازدواجية في العربية وغيرها من اللغات، فيها إسراف وأنه ينبغي أن يكون هدف السياسة اللغوية هو إزالتها.[4]

لذلك يسقط هذا الخيار، ولا يمكن القبول به حلًا ممكنًا على الإطلاق.

---

[1] المغربي، عبد القادر، أقرب الطرق إلى نشر الفصحى، "مجلة المجمع العلمي العربي"، دمشق، المجلد 3، الجزائر 7 و8، ص 231-238.

[2] وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، (مرجع سابق)، ص154-156.

[3] الحاج، كمال يوسف، في فلسفة اللغة (مرجع سابق)، ص 222.

[4] الموسى، نهاد، الثنائيات...، (مرجع سابق)، ص32، كما:

V.Teuli; Theory of Language Planing in Advances in Language Planing, PP64.

(2-6) التوحد:

ويفهم منه أن يصار إلى خيار واحد يصطنع لغة واحدة، خالصة من شوائب الازدواج أو الثنائية. وفي إطاره يمكن اعتماد الفصحى فقط، أو العامية فقط، أو لغة أخرى أجنبية. واستبدال لغة أجنبية باللغة العربية جملة،[1] أمر أراده قوم وسعوا له، بوصفه علاجًا ناجحًا للازدواج، لكنّ مثل هذا الاستبدال، يقتضي جيلًا كاملًا، أو جيلين، ليتمّ التحول، وهذا يعني أربعين سنة أو ثمانين سنة في حساب الزمن، ولن يلبث بعد أقل من عقد واحد من الزمن حتى تعود الازدواجية من جديد، حين تنشطر هذه اللغة الأجنبية إلى لهجات محلية متعددة، لنعود مرة أخرى نبحث عن مخرج.

هذا فضلًا عمّا تحدثه اللغة الأجنبية المصطنعة من شرخ عميق في الانتماء والهوية والثقافة، وربما تفضي إلى نسيان الذات العربية، والتمرد عليها، ومن ثم الضياع المطلق في حمّى البحث عن الذات.

لذلك يسقط هذا الخيار أيضًا، ولا يمكن أن يكون مقبولًا. وفي المقابل تظهر الفصحى خيارًا له أنصاره، وله أبعاده القومية والدينية والحضارية، لكن الذهاب إلى اصطناع الفصحى الكلاسيكية في كل شئون الحياة أمر يبدو متعذرًا، نظرًا للظروف الموضوعية التي تحيط بها، فهي –أي الفصحى – ما زالت لغة الكتابة والأدب الرفيع والتراث والدين، ولغة كثير من الوسائل الإعلامية والمؤسسات العلمية والتعليمية، لكنها على مستوى الخطاب الشفوي، تسجل تراجعًا متزايدًا ومخيفًا، نظرًا لسيطرة اللغات المحلية التي تنبعث عفو الخاطر ودون تكلف أو تعلم، وهو أمر يدعو - وبقوة - إلى التفكير بوضع إستراتيجية تعليمية تفضي بعد عقدين من الزمن على أبعد تقدير، إلى إحداث انقلاب جذري وحقيقي في أصول التخاطب اليومي، أو التداول اليومي للغة، ولن يكون ذلك متأتيا أو متاحًا ما لم تصطنع بيئة لغوية صالحة لتشكل الفصحى ونموها وترعرعها، وهذا يعني خلق بيئة أسرية ومنزلية تمارس الفصحى في كل شؤون الحياة، كي يتمكن الطفل من محاكاة هذه البيئة واكتساب الفصحى منها، وخلق بيئة مدرسية كي يستمر باصطناع الفصحى التي لا يجد

[1] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص 73.

بديلًا سهلًا عنها، ولا منافسًا لها، وخلق بيئة الشارع والسوق والجامعة والمصنع والمعمل، وكل أمكنة التعليم ومجالاته، وهكذا.

إنه لأمر صعب جدّ صعب، ولو سلمنا جدلًا بإمكانه، لما أمكن أن ننفي عن اللسان الفصيح المصطنع، تداخلات اللهجات المحكية التي تميز كل بيئة عن غيرها، وهي من القوة والسلطة بمكان يؤهلها لمنازلة الفصحى ومنازعتها ومزاحمتها في شتى المجالات والمرافق.

إنها الازدواجية مرة أخرى، تجعل التحول إلى الفصحى مجرد وهم غير قابل للتحقق أو ضربًا من الخيال. وإنه لحل خيالي إذًا أن تكون الفصحى صافية دون منازع.

لهذا، فليس من الممكن اصطناع مثل هذا الخيار مع التسليم بأنه الأفضل والأمثل، لكن الواقع لا ينقاد له.

يبقى إذا خيار العامية الذي يرتكز على دعوى صعوبة الفصحى واتهامها "بالقصور عن الوفاء بمطالب الخلق المتجدد والإبداع، وبالعجز تبعًا لذلك، عن مواجهة مقتضيات التحديث والحضارة".[1]

وتبعًا لهذا التعليل، فإن العامية من وجهة نظر هؤلاء الداعين، تمثل الحل الأفضل والأنسب والأقدر على مواجهة مقتضيات التحديث والحضارة، وتحقيق منسوب هذه السهولة الذي يدعم مثل هذه المواجهة التي تجيء في سياق ما يمليه التحيز الثقافي الفعال، والتميز الحضاري الجاد.

ولتحقيق ذلك، فإنه يتعين إحلال العامية محل الفصحى في كل مجالات الحياة. ولئن كان للفصحى دور في مجال الكتابة مثلًا، فإن هذا الدور ينتهي مع هذه الحياة، وهذا يعني إلغاء الفصحى من حياتنا وإقصاءها عن تفكيرنا. هذه الفصحى التي كتب بها تاريخنا وتراثنا عبر قرون طويلة.

إن الدعوة إلى العامية يحمل في ثناياه دعوة أخرى أشد وأشنع، تتمثل في "قطع الصلة بين مستقبلنا وماضينا، وحرمان أجيالنا القادمة من الإفادة من تراث أجدادهم".[2]

[1] الموسى، نهاد، الثنائيات، (مرجع سابق)، ص 35.

[2] محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)، ص75.

إن التحول إلى العامية خيار خطير يعصف بوحدة الأمة[1]، ويذهب بريحها وقوتها، ومع أنه خيار لم يعد قائمًا أو مقبولًا، وقد انحسر وانتهى إلى "موقف بين بين، يتمثل في جدوى دراسة اللهجات العامية لتأهيل المشترك بينها وبين الفصحى[2] الاّ أنه يظل على الدوام خيارًا مرفوضًا، وذلك للأسباب الآتية:

1. إن العامية ليست واحدة، إنها عاميات متعددة وكثيرة، فأية عامية نريد؟ وهل يمكن أن نرغم المصري على اصطناع عامية العراقي، أو العراقي على اصطناع عامية المصري؟ أم هل من الممكن إرغام القاهري اصطناع عامية الإسكندراني، أو الإسكندراني عامية الصعيدي مثلًا؟ وإذا كان هذا أو ذاك متعذرًا، فهل لكل قطر عامية؟ أو لكل مدينة أو محافظة عامية مثلًا؟ وهل هذا ممكن أو معقول؟

إن الدعوة إلى العامية دعوة إلى التجزئة والتحلل، وهي فوق ذلك انفلات من الروابط الجامعة، ونفي للمشترك، وفي ذلك تهديد خطير لوحدة الأمة وتآلفها، وإيذان بذهاب ريحها وفشلها واندثارها، ولعله من هذا الباب ءاهُملت اللهجات العربية القديمة، ولم توثق منذ عصور الفصاحة، حتى لا تكون دافعًا للعصبية القبلية التي قد تودي بوحدة الأمة وقوتها، فجاءت تبعًا لذلك ممسوخة ومشوهة ومبتورة ومجهولة المصدر.[3]

2. إن الدعوة إلى العامية، تجيء في سياق المدّ الغربي الأوروبي والأمريكي في وقت فقدت فيه الأمة العربية تماسكها ووحدتها، وطحنتها الصراعات المذهبية والإقليمية والسياسية، وخضعت لهيمنة استعمارية متعددة الأجناس والأغراض، وتحولت إلى دويلات متعددة الإغراض والمذاهب، تحكمها أنظمة دكتاتورية تتبع لشرق أو غرب، ولا استقلالية لها أو سيادة أو رؤية.

---

[1] العجلاني، منير، أثر اللغة العربية في وحدة الأمة، "مجلة المجتمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 32، الجزء 1، جمادي الأول 1376 هـ -كانون الثاني 1957م.

[2] الموسى، نهاد، الثنائيات، (مرجع سابق)، ص 32.

[3] الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، مطابع الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1965م، ص 85.

إن الدعوة إلى العامية في ظل مثل هذا الواقع المتخلف والمزري، يحمل في ثناياه بذور التوجس والريبة، فماذا بقي للأمة كي تخسره بعد هذا الخسران المبين، أكثر من لغتها التي تمثل الفصحى فيها هويتها الثقافية والتراثية والدينية؟

إنها إذًا دعوة إلى خسران الذات والتنكر لها، أو استبدالها، فالذين يدعون إلى استبدال العامية بالفصحى، إنما يدعون ـ بالواقع ـ إلى استبدال الهوية والثقافة والدين.

3. إن العامية، على تعددها وتنوعها، غير قادرة على الوفاء بحاجات الأمة، فمهما بذلت من جهود لتقعيدها وتقنينها وتسويغها وتسويقها،[1] فإنها تظل، بالرغم من ذلك كله، عاجزةً عن الوفاء بحاجات التعبير، فهي لا تستطيع أن تمدّ الفرد بما يحتاجه من ألفاظ أو أساليب تعبيرية مناسبة لحواره أو كتابته أو تفكيره، ولو تحقق لها بعض ذلك، وإلى حدّ ما، في مجال الحوار، فإنها تبقى عاجزة تمامًا في مجال الكتابة، وحتى في مجال الحوار،فإنها لا ترقى إلى التعبير عن الأمور الثقافية أو الفكرية، أو الفلسفية، وتحوج المتحدث إلى الفصحى يستعيد منها ما يشفع له من مصطلحاتها وصيغها وتراكيبها.[2]

4. إن العامية لا تناسب اللغة الإعلامية، ولا تصلح لها، ولا تفي بحاجتها، فوسائل الإعلام على اختلافها وتنوعها، تصطنع لغة هي أقرب إلى الفصحى، وتخضع لقواعدها وأساليبها التعبيرية، ولأنها -أي اللغة الإعلامية – مرشحة لأن تكون اللغة السائدة في عصر العولمة والتقنيات والفضائيات، فإن الاهتمام بها يجيء في سياق الاهتمام بالفصحى، ودخول العامية هنا أو اعتراضها يفسر هذا التوجه، ويقلل من هذا الاهتمام، لذا اقتضى تنحية العامية واقصاءها وتجاوزها، وتطوير لغة الإعلام كي ترقى إلى الفصحى لتصبح اللغة

[1] وضع "ولهام سبيرتا" قواعد العربية العامية في مصر عام 1880م، ووضع "كارل فولرز" كتابه ": "اللهجة العربية الحديثة في مصر" عام 1890م، ووضع "سلدون لمور" كتابه: "العربية المحكية في مصر" في تلك الأثناء أيضًا، وذلك في محاولة للانتقال بالعامية إلى سلطة " المدوَّن " تمهيدًا لإحلالها محل الفصحى.

الموسى، نهاد، الثنائيات، (مرجع سابق)، ص 31 -32.

[2] وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، (مرجع سابق)، ص 151.

والمعتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، (مرجع سابق)، ص 167.

الإعلامية هي اللغة الفصحى بامتياز، وتصبح وسائل الإعلام بهذا التحول، جزءًا من الحل لا جزءًا من المشكلة.

5. إن العامية – خلاف الفصحى – غير ثابتة على حال واحدة، فهي عرضة للتطور في أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها،[1] وبذلك يتحقق الازدواج من جديد، واصطناع العامية لغة رسمية سوف يقضي باصطناع ما ينجم عنها من عامية جديدة بعد فترة وجيزة أو غير طويلة، تبعًا لقانون التطور الذي يصيب اللغات جميعها، وفي ذلك عود على بدء.

لهذه الأسباب ونحوها، مثلًا يمكن القبول بالعامية بديلًا عن الفصحى فما الحل إذًا؟

يبقى خيار آخر يتجلي في التقريب بين العامية والفصحى، شريطة أن ترقى العامية إلى الفصحى، وليس العكس.

(3-6) التقريب بين العامية والفصحى:

يقتضي التنويه في هذا السياق إلى رفض مبدأ التقريب كلما كان لمصلحة العامية أو على حساب الفصحى، ولذلك فإن تقريب الفصحى من العامية بمعنى أن تتنازل الفصحى عن بعض خصائصها لتقترب من العامية، أمر مرفوض، لكن تقريب العامية من الفصحى[2]، بمعنى أن تتخلى العامية عن كثير من خصائصها لتقترب من الفصحى، أمر مطلوب، وهو الذي ينبغي أن ينظر فيه بتأنٍ وتؤدة وعمق، كي يتسنى للمقربين رفع مستوى العامية وتفصيحها. وهذا هو ما ننشده من وراء هذه المقاربة، ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك؟

يرى كثير من المراقبين والدارسين أن العامية تتجه يومًا بعد يوم إلى ما يسميه بعض الباحثين بالعربية الوسطى أو اللغة الثالثة،[3] أو لغة المتعلمين المحكية،[1] أو دارجة المثقفين،

---

[1] وافي، فقه اللغة، (مرجع سابق)، ص 152.

[2] محفوظ، حسين علي، تقريب العامية من الفصحى، "مجلة مجمع اللغة العربية"، القاهرة، الجزء 41، جمادي الأول 1398 هـ، أيار، 1978 م.

[3] المعتوق، أحمد محمد، نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، المركز الثقافي العربي، 2005 م.

والتي أفاض عبد الرحيم اليوسي في دراستها في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه،[2] كما تتجه إلى ما يسميه "مونتي" وآخرون بالعربية الحديثة أو المعاصرة،[3] أو "اللغة العربية المعاصرة"،[4] أو "العربية الفصحى المعاصرة"،[5] أو "الفصحى المعاصرة"،[6] أو "العربية الفصحى

والكريدسي، علي بن حمود، اللغة الثالثة بين الفصحى والعامية، " مجلة الجزيرة الثقافية "، العدد 83، الاثنين 18 رمضان 1425هـ، 2004/11/1، على الرابط الإلكتروني: http://www.al-jazirah.com.sa/culture

[1] الموسى، نهاد، الثنائيات، (مرجع سابق)، ص 147، وقضية التحول إلى الفصحى، (مرجع سابق)، ص 25.

[2] العشيري، محمد نافع، الازدواجية اللغوية في المغرب، (مرجع سابق).

[3] مونتي، فانسان، اللغة العربية الحديثة، تلخيص جمال الدين البغدادي، "مجلة اللسان العربي"، العدد 1، 1384 هـ / 1964 م. وأيضًا:

* شاهين عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 198م، ص 255.

* بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1969م، ق2، ص 123.

* داود، محمد محمد، الدلالة والحركة، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م، ص41.

* داود، محمد محمد، الدلالة والكلام، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م، ص 15.

* داود، محمد محمد، العربية وعلم اللغة الحديث، (مرجع سابق)، ص 247.

[4] الطيب، عبد الله، اللغة العربية المعاصرة، " محاضر جلسات المجمع " الدورة 43، 1978م، ص 225. وعمر، أحمد مختار، أخطاء اللغة العربيةالمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991م

[5] قد سري، أحمد محمد، العربية الفصحى المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1991 م.

[6] ضيف، شوقي، الفصحى المعاصرة، "محاضر جلسات المجمع"، الدورة (44)،"مجلة مجمع اللغة العربية"، القاهرة، الإدارة العامة للتحرير، الجزء (41)، أيار، 1978م، ص 91.

الحديثة"،[1] أو "فصحى العصر"،[2] أو "الفصحى المخففة"،[3] أو "اللغة العربية المشتركة"،[4] أو غيرها من الألفاظ والاصطلاحات.

ويُعزى مثل هذا التوجه في تفصيح العامية إلى تراجع نسبة الأمية في الوطن العربي، وتنامي معدلات التعليم وانتشاره الواسع وازدياد الوعي بأهمية اللغة الفصحى ودورها في تعزيز ثقافة الانتماء، وانتشار الصحافة والإذاعة، والاطلاع على ثقافة الغرب ومعارفه، عبر الاحتكاك المباشر وغير المباشر، وعبر الترجمة والبحث العلمي والرحلات العلمية.

والعربية المعاصرة تقوم أساسًا على أصول الفصحى في كل مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهي خلافًا لكل اللغات العالمية الحية، تحافظ على نسقها العام، ولا تتبدد أو تتغير تغيرًا جذريًا أو كبيرًا كما هو حال معظم لغات العالم،[5] والسر في هذا الثبات النوعي، يكمن في ارتباطها بالقرآن الكريم، حيث حافظ القرآن من جهته على نسقها العام، وجعلها مفهومة على الدوام.

والمستوى الكتابي للعربية المعاصرة هو من الفصحى باتفاق، إنما يبقى الخلاف في التلفظ والخطاب، حيث تميل العربية المعاصرة إلى التسكين وخاصة في أواخر الكلمات، وعند الوقف، وهو أمر يخرج –إلى حدّ ما –عن طبيعة الفصحى المعربة التي تمنح الأواخر حركاتها المناسبة، لكن التسكين الذي تنتهجه العربية المعاصرة، أو يطغى على ألسنة

---

[1] سنتكيفتش، يا روسلاف، العربية الفصحى الحديثة (بحوث في تطور الألفاظ والأساليب)، ترجمة وتعليق: محمد حسن عبد العزيز، دار النمر للطباعة، الجيزة، ط1، 1985م، (العنوان).

[2] بدوي السعيد، مستويات العربية المعاصرة في مصر، دار المعارف، القاهرة 1973م، ص 127.

[3] أمين، محمد شوقي، صيغة الفصحى المخففة كما يراها الدكتور محمد كامل حسين، "مجلة مجمع اللغة العربية "، القاهرة، الجزء 39، جمادي الأول، 1397 هـ، أيار، 1977م.

[4] أنيس، إبراهيم، مستقبل اللغة العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1960م، ص 48. وشرف، عبد العزيز شرف، الإعلام واللغة العربية المشتركة، "مجلة الفيصل "، العدد 17، ذو القعدة، 1398 هـ، تشرين الأول 1978م.

[5] الداية، فايز، الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الملاّح، دمشق، ط1، 1978م، ص 119.

الناطقين بها، يظلّ أمرًا هيّنًا إذا ما قيس بالعامية ومقبولًا ضمن إطار العربية الفصحى ويستند إلى سنن العرب في نطقهم، وهو لا يعكس فقدان الإعراب بشكل مطلق، وإنما بعضه، وبخاصة في الأواخر وعند الوقف، ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن فقدان الإعراب،[1] أو بعضه ليس بضائر للغة العرب ما دامت تبين عن مقاصدها وتؤدي وظيفتها والغرض منها.

والإسكان أو قطع الحركة الإعرابية، ليس بالأمر الغريب أو المنكور في العربية الفصحى، وقد رأت لجنة اللهجات بمجمع القاهرة،[2] في دراستها لهذه الظاهرة، إمكان ذلك وجوازه، وقد أورد السيوطي بعض الشواهد الدالة عليه من القرآن والشعر، ثم قال: "اختلف في جواز حذف الحركة الظاهرة، من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقوال، أحدها الجواز مطلقًا، وعليه ابن مالك؛ وقال ابن مالك، إن أبا عمرو حكاه عن لغة تميم".[3]

ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أيضًا أن كلام العرب "الدرج"، وأنها تجتاز بالإعراب اجتيازًا،[4] ويُذكر عن ابن أبي اسحاق أن العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه،[5] ويغزى ليونس قوله: العرب تشام الإعراب ولا تحققه،[6] وسُمع الخشخاش بن الحباب يقول: العرب تقع بالإعراب وكأنها لم ترد،[7] وذكر أبو الخطاب أن إعراب العرب الخطف والحذف،[8] وكان

---

[1] ابن خلدون، المقدمة (مرجع سابق)، ص 558.

[2] الخطيب، عدنان، وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والأربعين، في "مجلة مجمع اللغة العربية الأردني " العدد 2، المجلد 1، شعبان 1398 هـ، تموز، 1978م، ص 149. وتيمور، محمود، العامية... الفصحى "مجلة مجمع اللغة العربية "، القاهرة، الجزء 13، 1961م، ص 123.

[3] السيوطي، جلال الدين المتوفى 911 هـ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، دار المعرفة، بيروت، 54/1.

[4] عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، دار التراث، القاهرة، 1977م ص 65. واستيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية، (مرجع سابق)، ص 137.

[5] ينظر عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة (مرجع سابق)، ص 65.

[6] السابق، ص 65.

[7] السابق، ص 65.

[8] السابق، ص 65.

الأصمعي يختلس الإعراب حين ينشد.[1]

كل ذلك أو بعضه مؤشر قوي إلى أن الإعراب أو تحقيق الإعراب ليس شرطًا للفصحى، وأن الفصحى التي تحقق الإعراب هي التي طرأت بعد شيوع اللحن أيام الفتوحات، وخاصة بعد بدء عهد تدوين العلوم وتقعيدها. إنها فصحى النحويين والمتكلمين، وليست فصحى الشعراء والمحققين من الرواة.

وعليه، فإن تعميم الفصحى المعاصرة وجعلها متداولة على مستويي الكتابة والخطاب، وهو الحل الأنجع لتجاوز مشكلة الازدواج اللغوي، وهو الحل الواقعي الوحيد والممكن، وبخاصة في عصر العولمة والإعلام. ويمكن تحقيق ذلك؛ جلَّه أو بعضه، بآلية أو برنامج يتمثل على النحو الآتي:

أولًا: إعادة النظر في المناهج التربوية والتعليمية المتداولة، بحيث تُخلص هذه المناهج لتحقيق هذه القراءة والكتابة الصحيحتين بدءًا من رياض الأطفال وحتى التخرج من المرحلة الثانوية من المدرسة، فتُجعل مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الأساسية الأولى التي تمتد من الصف الأول الأساسي وحتى نهاية الصف الرابع الأساسي، تُجعل هذه المرحلة للقراءة والكتابة والتذوق والحفظ فقط، فيُدرب التلاميذ على محاكاة النصوص الأدبية الرفيعة، ومحاولة فهمها وحفظها وتقليدها، ليتسنى لهم بناء ذائقة أدبية من جهة، وخلق مهارة لغوية من جهة أخرى تفضي إلى ترسيخ سلوك لغوي سليم ملتزم بقواعد العربية ومحقق لوظيفتها وخصائصها.

ثم تجيء المراحل المدرسية الأخرى مرسخة لهذا الهدف وداعمة له مع التنويع في مجالات الفكر والعلوم الأخرى، التي يُدعى مدرسوها إلى طرحها وفقًا لمنظور لغوي صحيح وتبعًا لمقتضياته الدلالية والتداولية، وبحسب قانون التعاون والتكامل لخلق بيئة لغوية سليمة، تنمو في ظلها لغة الناشئة نموًا تكامليًا سليمًا. ويُركز خلالها على تعميق القراءة والكتابة وتعميم النطق الصحيح بوسائل أدائية فاعلة ومؤثرة كالشعر والقصة والحكاية والمسلسل والفيلم والمسرح...وغيرها من الوسائل العلمية والتعليمية والإعلامية الحديثة والمتميزة.

---

[1] السابق، ص 65.

ثانيًا: إنشاء أسواق لغوية وأدبية، تُعمم من خلالها لغة مشتركة هي باتفاق، العربية المعاصرة، ويتم ذلك بتشجيع الناشئة على إنتاج مواد أدبية وإلقائها في مثل هذه الأسواق ونشرها كي تُسهم بجعل اللغة المشتركة المعاصرة لغة متداولة في المحافل الأخرى أيضًا.

ثالثًا: تعريب التعليم الجامعي، وإعادة النظر باللغة التي تُعلّم بها مواد التخصصات المختلفة، لجعل الجامعة سوقًا أخرى مفتوحة لنشر العربية المعاصرة وتعميمها.

ويمكن تذليل العقبات المتأتية من التعريب، بإنشاء مراكز ترجمة تأخذ على عاتقها مواكبة التغيرات والتطورات العلمية ونقلها إلى العربية المعاصرة، وابتداع اصطلاحات جديدة ومناسبة تجعل منها أمرًا معروفًا ومألوفًا.

ومثل هذه المسئولية تقع على عاتق الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني من جهة ومؤسسات الدولة من جهة أخرى، كي يتكامل العمل ويتنامى. وكي تضع طلبة العلم والباحثين في صورة كل ما يستجد من معارف وعلوم.

ويجيء في هذا السياق أيضًا، تشجيع البحث العلمي باللغة العربية المعاصرة، وجعل اتقان العربية شرطًا في التوظيف والتعيين وملء شواغر الوظيفة في شتَّى المعارف والعلوم وفي كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

رابعًا: تطوير وسائل الإعلام وتطويعها لحمل العربية المعاصرة وجعلها لغتها الرسمية، بحيث تصبح اللغة الإعلامية المستخدمة في وسائل الإعلام المختلفة هي اللغة العربية المعاصرة. وعبر هذه الوسائل الإعلامية يتحقق للغة مجال تداولي واسع، يطال معظم شرائح المجتمع ومختلف الشرائح العلمية والتخصصية أيضًا، وتتحول وسائل الإعلام بحسب هذا الطرح، من طرف في المشكلة اللغوية إلى طرف مؤثر في الحل...

(7) الخاتمة:

يمكن القول: إن الازدواج اللغوي أمر طبيعي ينتاب كل لغات العالم، وهو أمر لا يمكن إغفاله أو تجاوزه، وفي الوقت نفسه ليس من الممكن السكوت عليه، أو الرضا به، لذا اقتضى البحث الدائم عن حلول مناسبة لإنهائه أو التخفيف من آثاره السلبية، وقد بدا في العربية أكثر وضوحًا وأشد خطورة، وتضاربت الآراء والمواقف حوله،وحاول هذا البحث مناقشة هذه الآراء والمذاهب، وخلص إلى القول بأهمية العمل على التخلص من الازدواج اللغوي عبر تطوير لغة الإعلام وجعلها اللغة العربية المعاصرة أو الفصحى المعاصرة، لتقريبها من الفصحى، ومنحها خصائصها وحيويتها مع شيء من العصرنة والحداثة.

وبالرغم من ذلك، فإن إنهاء الوضع الازدواجي للعربية أمر في غاية التعقيد والصعوبة، لكنه يظل ممكنًا إذا ما أُخلص العمل لإنتاج بيئة لغوية سليمة عبر تقنيات الإعلام وآلياته المعاصرة من جهة، وعبر التخطيط اللغويالسليم والتنمية اللغوية المستمرة من جهة أخرى. ويبقى كل ذلك مرهونًا بالقرار السياسي الذي يدفع باتجاه تبني هذا البرنامج التمهيدي في شقيه المنهجي والاجرائي، والذي إن أُحسن تطبيقه، فإنه قد يتيح مجالًا واسعًا لوضع اللغة الفصحى في مجال تداولي فعّال.

ببليوغرافيا:

1- استيتية، سمير شريف. المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازداوجية. د.م: مكتبة جامعة النجاح الوطنية، 1995م.

2- أمين، محمد شوقي. "صيغة الفصحى المخففة كما يراها الدكتور محمد كامل حسين". مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة، الجزء 39، جمادي الأولى، 1397هـ، أيار، 1977م.

3- أنيس، إبراهيم. مستقبل اللغة العربية. القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1960م.

4- بدوي، السعيد. مستويات العربية المعاصرة في مصر. القاهرة: دار المعارف، 1973م.

5- بشر، كمال. دراسات في علم اللغة. ق 2. ط2. القاهرة: دار المعارف، 1969م.

6- تيمور، محمود. مشكلات اللغة العربية. القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، 1956م.

7- تيمور، محمود. "العامية... الفصحى." مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج13، 1961م.

8- الجرجاني، علي بن محمد المتوفي سنة 816 هـ. التعريفات. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ط1. بيروت: عالم الكتب، 1987م.

9- الجندي، أحمد علم الدين. اللهجات العربية في التراث. مصر: مطابع الهيئة العامة للكتاب، 1965م.

10- الجندي، أنور. الفصحى لغة القرآن. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م.

11- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي المتوفى سنة 392 هـ. الخصائص. طبعة الهلال، 1331هـ.

- وطبعة أخرى، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- وطبعة أخرى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط2. منشورات محمد علي بيضون. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

12- جورج يول. معرفة اللغة. ترجمة محمود فراج عبد الحافظ. ط1. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م.

13- الحاج، كمال يوسف. في فلسفة اللغة. ط2. بيروت: دار النهضة للنشر، 1978م.

14- الخطيب، عدنان. وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والأربعين، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد 2، المجلد 1، شعبان، 1398هـ /تموز 1978.

15- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المصري المغربي المتوفى سنة 808 هـ. مقدمة ابن خلدون. ط4. بيروت: دار الكتب العلمية، 1978م.

16- الخولي، محمد علي. الحياة مع لغتين "الثنائية اللغوية". ط1. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، 1408هـ /1988م.

17- داود، محمد محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.

18- داود، محمد محمد. الدلالة، والكلام، دارسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.

19- داود، محمد محمد. الدلالة والحركة، دارسة تأصيلية لألفاظ الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.

20- الداية، فايز. الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع عشر. ط1. دمشق: دار الملّاح، 1978م.

21- الزغول، محمد راجي. "ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نجو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. السنة الثالثة، العدد المزدوج (10،9)، آب -كانون أول، 1980م.

22- السامرائي، إبراهيم. التطور اللغوي التاريخي. ط3. بيروت: دار الأندلس، 1983م.

23- سنتكيفتش، يا روسلاف. العربية الفصحى الحديثة (بحوث في تطور الألفاظ والأساليب). ترجمة وتعليق: محمدحسن عبد العزيز. ط1. الجيزة: دار النمر للطباعة، 1985م.

24- السيوطي، جلال الدين المتوفى سنة 911 هـ كتاب الاقتراح في علم أصول النحو. تقديم وتصحيح وشرح: أحمد الحمصي، ومحمد قاسم. ط1. د.م: طبعة جروس برس، 1988م.

25- السيوطي، جلال الدين (ت. 911هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح وتصحيح: محمد أحمد جاد، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجادي. ط3. القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ت.

26- السيوطي، جلال الدين المتوفى سنة 911هـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع. دار المعرفة، بيروت.

* وطبعة أخرى بتحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت: ط2، 2006م.

* وطبعة أخرى بتحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980م.

27- شاهين، عبد الصبور. في علم اللغة العام. مؤسسة الرسالة، بيروت: ط3، 1980م، وط 4، 1984م.

28- شرف، عبد العزيز. "الإعلام واللغة العربية المشتركة"، مجلة الفيصل العدد 17، ذو القعدة، 1398 هـ، تشرين الأول، 1978م.

29- شرف، عبد العزيز. وسائل الإعلام ولغة الحضارة. القاهرة: مؤسسة مختار، د.ت.

30- شيخو، لويس. تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين. بيروت: طبعة الآباء اليسوعيين، 1926م.

31- ضيف، شوقي. "الفصحى المعاصرة. محاضرات جلسات المجمع"، الدورة 44، "مجلة مجمع اللغة العربية"، القاهرة: الجزء (41)، الإدارة العامة للتحرير، أيار، 1978م.

32- الطيّب، عبد الله. اللغة العربية المعاصرة. "محاضر جلسات المجمع "، الدورة (43)، 1978م.

33- عبد التواب، رمضان. فصول في فقه اللغة. القاهرة: دار التراث، 1977م.

34- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت. 224هـ). ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل. مطبوع بهامش " تفسير الجلالين "، د.م: مطبعة عيسى الحلبي، د.ت.

35- العجلاني، منير. "أثر اللغة العربية في وحدة الأمة" مجلة المجمع العلمي العربي. دمشق المجلد 32، الجزء 1، جمادي الأولى، 1376 هـ، كانون الثاني، 1957م.

36- العشيري، محمد نافع. الازدواجية، اللغوية في المغرب. " مدونة الدكتور عبد الفتاح الفاتحي " على الرابط الإلكتروني:http://elfatihi.elaphblog.com

37- عمر، أحمد مختار. أخطاء اللغة العربية المعاصرة. ط1. القاهرة: عالم الكتب، 1991م.

38- العناتي، وليد أحمد، وعيسى برهومة. اللغة العربية وأسئلة العصر. ط1. عمان-الأردن: دار الشروق، 2007م.

39- الغلالي، إبراهيم صالح. ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ / 1997م.

40- الفهري، عبد القادر الفاسي. المقارنة والتخطيط في البحث اللساني. ط1. الدار البيضاء-المغرب، دار توبقال للنشر، 1998م.

41- قدسري، أحمد محمد. العربية الفصحى المعاصرة. ط1. تونس: الدار العربية للكتاب، 1991م.

42- القعود، عبد الرحمن محمد. الازدواج اللغوي في اللغة العربية. ط1. الرياض: مطابع التقنية للأوسفت، 1997م.

43- الكريدسي، علي بن حمود. "اللغة الثالثة بين الفصحى والعامية". مجلة الجزيرة الثقافية العدد 83، الإثنين، 18 رمضان 1425 هـ، 2004/11/1م.

متاح على الرابط الإلكتروني:http://www.al-jazirah.com.sa/culture

44- لوسركل، جان جاك. عنف اللغة. ترجمة وتقديم: محمد بدوي. مراجعة: سعد مصلوح. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، توزيع: بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أيار 2005م.

45- مارتينه، أندريه. "الثنائية الألسنية والازداوجية الألسنية، دعوة إلى رؤية دينامية للوقائع". ترجمة: نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 11، 1990م، بيروت: مركز الإنماء القومي.

46- محفوظ، حسين علي. "تقريب العامية من الفصحى". مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: الجزء (41)، جمادي الأولى، 1348 هـ، أيار، 1978م.

47- محمود، إبراهيم كايد. "العربية الفصحى بين الازداوجية اللغوية والثنائية اللغوية". المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل / العلوم الإنسانية والإدارية المجلد الثالث، العدد الأول، ذو الحجة، 1422هـ / آذار، 2002م.

48- المعتوق، أحمد محمد. الحصيلة اللغوية . أهميتها . مصادرها . وسائل تنميتها. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 212.

49- المعتوق، أحمد محمد. نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى. د.م: المركز الثقافي العربي، 2005م.

50- المغربي، عبد القادر. "أقرب الطرق إلى نشر الفصحى". مجلة المجمع العلمي العربي"، دمشق، المجلد 3، الجزآن (7،8).

51- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المتوفى سنة 711 هـ لسان العرب. ط1. بيروت: دار الفكر- دار صادر، 1990م.

52- الموسى، نهاد. الازدواجية في العربية، ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون. ضمن "ندوة الازدواجية في اللغة العربية" عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، 1988م.

53- الموسى نهاد. الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة. ط1. عمان- الأردن: دار الشروق، 2003م.

54- الموسى نهاد. قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث. ط1. عمان-الأردن: دار الفكر 1987م.

55- الموسى نهاد. اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول. ط1. عمان-الأردن: دار الشروق، 2007م.

56- الموسى نهاد. اللغة العربية وأبناؤها، أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية. ط 2. عمان-الأردن: مكتبة وسام، 1990م.

57- موقع إسلام ويب الإلكتروني على الرابط: http://www.islamwib.net/media/index.php

58- موقع جريدة الشرق الأوسط، العرب الدولية، الجمعة 30 ربيع الأول 1422 هـ 22 يونيو 2001 م، العدد (8242)، على الرابط الإلكتروني:www.aawsat.com

59- موقع ديوان العرب على الرابط: www.diwanalarab.com

60- مونتي، فانسان. "اللغة العربية الحديثة". تلخيص: جمال الدين البغدادي، مجلة اللسان العربي العدد 1، 1384هـ/1984م.

61- وافي، علي عبد الواحد. علم اللغة. ط2. القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، 1944 م

62- وافي، علي عبد الواحد. فقه اللغة. ط4. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1951م.

63- يعقوب، أميل بديع. فقه اللغة العربية وخصائصها. ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 1982م.

64- Bjorn Jernudd. *Lectures on Language Problems*. Bahri Publications, 1990.

65- Desaussure (Ferdinand). *Course In General Linguistics*, translated by: wdBakin, London, 1964.

66- Neustphy (J.V): *language Theory in a Japanes Context, Post Structural Approach to Language*.

67- V.Tauli. *The Theory of Language PLaning, in Advances in Language Planing*.